مجتمع المعرفة

- توطئة :

لقد أدت القفزة المعرفية التي نشهدها اليوم إلى بروز معطيات جديدة للمجتمعات الإنسانية، لم تعرفها المجتمعات السابقة، وهكذا برز تعبير " مجتمع المعرفة " بحلة جديدة حاملا هذه المعطيات في صفاته، و متطلعا أيضا إلى تعزيز الإمكانيات المعرفية، و العمل على الاستفادة منها في تطوير المجتمعات الإنسانية ، ولعل من أبرز أمثلة الاهتمام بمجتمع المعرفة ما يقوم به الاتحاد الأوروبي في هذا المجال، ففي مؤتمر القمة الأوروبي الذي عقد في ليشبونة عام 2000م، اتخذت قرارات لدعم التوجه نحو بناء هذا المجتمع و تطويره و الاستفادة من معطياته ، و على المستوى العربي فإن من أبرز أمثلة هذا الاهتمام التقرير الثاني للتنمية الإنسانية العربية الذي صدر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، و الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي و الاجتماعي، و الذي حمل شعار " نحو إقامة مجتمع المعرفة ".

إن مجتمع المعرفة في هذا العصر هو المجتمع الذي يهتم بدورة المعرفة و يوفر البيئة المناسبة لتفعيلها و تنشيطها و زيادة عطائها، بما في ذلك البيئة الحديثة بشكلها العام ، و بيئة تقنيات المعلومات على وجه الخصوص، بما يساهم في تطوير إمكانيات الإنسان، و تعزيز التنمية، والسعي نحو حياة كريمة للمجتمع .

لقد ظهر مجتمع المعرفة لأول مرة في منتصف الستينيات –القرن الماضي- عندما كانت تحدث نقاشات وجدل ومناقشات ساخنة بخصوص التناقضات والعيوب والعقبات التي تواجه المجتمع الصناعي ومن هنا فقد بدأ المجتمع الحديث في التركيز على المعرفة ووظيفتها ، ولقد وضح أحد المفكرين " أن النظرية الخاصة بمجتمع المعرفة ، والتي تركز على الوظائف المعرفية باعتبارها نتاجا جديدا يحل محل رأس المال حيث أنها تمثل عنصر انتاج تقليدي، ولقد شاع استخدام مفاهيم متصلة بمجتمع المعرفة مثل (الصناعة و التكنولوجيا المعرفية)، وكلما مر الوقت دخلنا في مجتمع المعرفة بصورة و عمق أكبر، أما الأمور التي تقودنا إلى الدخول في هذا المجتمع فهي:

أ-التطوير السريع للعولمة و انتشارها، بعد أن تم تشكيل المنظمة العالمية للتكنولوجيا WTO أدى إلى اتساع سوق العمل الدولي و زيادة التبادل الفكري و البشري و المادي و تطوير أساليب الاتصال المعرفي أو المعلوماتي الجديد، وأيضا التطور المستمر للتكنولوجيا حتى أن بعضهم رأى أن ظاهرة العولمة تعتبر المحرك الذي يقوم بخلق المعرفة ،و تعتبر قدرة الأفراد على خلق المعرفة و تبادلها و الاستفادة منها هي واحدة من أهم العناصر التي تجعل للفرد اليد العليا في السوق التنافسية الدولية و خصوصا ظاهرة العولمة.

ب-في ظل التطور السريع للمعلومات يعتبر مستوى اكتساب المعرفة هو آلية القياس التي تستخدم في قياس و تقييم مستويات الكفاءة الإنتاجية ، و الثقافة الخاصة بالأفراد و المؤسسات.

جـ-تغيير شكل و فرص و أهداف العمل.

د-تغيير نظم التعامل المعرفي و تغيير تركيزها.

ه-الزيادة الكبيرة للمعرفة.

ويعود الميلاد المعرفي –الفعلي- لمفهوم مجتمع المعرفة إلى أواخر التسعينات من القرن الماضي، خاصة بعد أن بذلت اليونسكو جهدا فائقا في مجال التعريف به ونشره ، فقد كانت مختلف المقاربات وخاصة الماركسية منها تؤكد أن تطور المجتمع رهن حسن استغلال الإمكانيات المادية و الثروات الطبيعية ... ومقاومة الفقر و المرض، إلا أنه مع مرور السنوات و تكرار إخفاق التجارب ثبت محدودية مثل هذه الرؤية.

ولعل هذا ما يفسر الانتباه منذ أواسط السبعينات من القرن الماضي إلى أن تطور المجتمعات ليس نتاج المعطيات الاقتصادية و المادية وحدها، بل ثمة معطيات أخرى من الضروري توفرها لتحقيق التنمية الشاملة للمجتمعات، ولذلك تم التركيز خاصة في أوروبا و الولايات المتحدة الأمريكية على ما يسمى (بالرأسمال غير الملموس) أو غير الواقعي، أي الاستثمار العقلاني في قطاعات التربية و التعليم ، والصحة والإعلام ، و المعلوماتية، إلا أنه منذ منتصف الثمانينات أثبتت التجارب أهمية الموارد البشرية في تحقيق النمو الاقتصادي ، الأمر الذي يفسر حرص المجتمعات الأوربية على التلازم بين التحكم في المعلومات ، و حسن إعداد الرأسمال البشري.

فمجتمع المعرفة إذن حالة من الامتياز الفكري و المعرفي و التقني، ومن التقدم العلمي و البشري، الأمر الذي شجع بعض المختصين على وصفه بـــ "الثورة المتعددة المعاني و الاتجاهات .

وبالرغم من أن استخدام مفهوم "مجتمع المعرفة " تعود إلى أواخر الستينات من القرن الماضي، إلا أنه لم يسطع إلا في أواخر التسعينات من القرن العشرين-كما أشرنا سابقا- ، وقد استخدم من قبل "بيتر دروكر" ، ثم تعمق في التسعينات من القرن الماضي على يد باحثين مثل : روبن ماتشيل وستيهر...

1-مفهوم مجتمع المعرفة : يشير مفهوم مجتمع المعرفة إلى دور المعرفة ومركزيتها في النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، إذ تركز إدارة المؤسسات اليوم على الاستثمار في البحث ، والتشجيع على الابتكار ، واعتبار التعليم المستمر مصدرا من مصادر تعزيز التنافسية ، كما أن البحث وإنتاج المعرفة وتراكمها يؤدي إلى إنتاج معارف جديدة ؛ يمكن من خلالها ابتكار تقنيات وخدمات جديدة ، **وعليه يمكن تعريف مجتمع المعرفة** بأنه : "المجتمع الذي يقوم أساسا على نشر المعرفة (عبر وسائل التعليم ووسائل الإعلام) ، وإنتاجها من (خلال مؤسسات البحوث والتطوير)، وناتجها (من نشر علمي وبراءات اختراع وإصدار كتب) ، وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي؛ الاقتصاد والسياسة والمجتمع المدني والحياة الخاصة ، وما يتطلبه ذلك من بنية أساسية لرأس المال المعرفي تتمثل في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ، ومؤسسات دعم البحث العلمي والتطوير ، والمؤسسات المهنية للعاملين بالمعرفة ". إن إنتاج المعرفة أصبح سلعة رابحة ، تحمل معها السيطرة السياسية والمكانة الاجتماعية والهيمنة الثقافية والاقتصادية ، وعلى هذا فلقد أصبح لمجتمع المعرفة أبعاد مختلفة ومتشابكة يجب استغلالها كما ينبغي حتى يمكن إقامة مجتمعات معرفة حقيقية ، ومن أهم هذه الأبعاد؛ البعد الاقتصادي ، البعد التكنولوجي ، البعد الاجتماعي ، البعد الثقافي ، البعد السياسي .

2-خصائص مجتمع المعرفة : لمجتمع المعرفة خصائص عدة تميزه إلى حد بعيد ، ومؤشرات يمكن من خلالها التنبؤ بدخول مجتمع ما أو تحوله إلى مجتمع معرفة ، وتنقسم إلى خصائص ثقافية واجتماعية وتقنية... ، وسيتم عرض هذه الخصائص فيما يلي :

2-1-الخصائص الثقافية ، وتتضمن الآتي :

أ-الثقافة الكونية ب-العولمة

2-2-الخصائص الاجتماعية ، وتشمل الآتي :

أ-التفاعل الاجتماعي عن بعد ب- التفاعل الاجتماعي الفضائي ج-تفاعل الإنسان مع الكمبيوتر

2-3-الخصائص التقنية، وتشمل :

أ-التحول من العمل المادي –الحقيقي- إلى العمل الافتراضي

ب-الثورة التكنولوجية

ج-إحلال التكنولوجيا محل الإنسان في كثير من الأعمال "الأتمتة"

د-التطور المذهل في وسائل الاتصالات الجديدة .

ه-الاستثمار في الوقت من خلال اختراق الفواصل الزمنية والمكانية ببث المعلومات والبيانات عبر الحدود الجغرافية دون عوائق

2-4-الخصائص الاقتصادية ، وتشمل :

أ-اقتصاد المعرفة : وهو الاقتصاد الذي يهتم بالحصول على المعرفة والمشاركة فيها وتوظيفها لتحسين نوعية الحياة بكافة مجالاتها و أنشطتها من خلال الاستفادة من الانترنت و تطبيقات المعلوماتية المختلفة، و يعتمد الاقتصاد حاليا على المعرفة و أدواتها كالحاسوب و البرمجيات و وسائل الاتصال المختلفة، ولم يعد المصدر الأساسي لنمو الاقتصاد "رأس المال" بل "المعلومات "...

ب-المهن الالكترونية : إن ظهور مجتمع المعرفة يعتمد إلى حد كبير على التغير المهني لأفراده و أنواع المهارات المطلوبة منهم كالفهم المتعمق و الابتكار، وقد لوحظ في الولايات المتحدة أن نسبة العاملين في الزراعة تنخفض بشكل كبير بينما ترتفع هذه النسبة في مجال المعلوماتية " عمال المعرفة ". ومن أهم ما يميز الاقتصاد في مجتمع المعرفة المخاطر و التنافس و حق الملكية الفكرية، بالإضافة إلى خلق الوظيفة و السرعة و التغيير.

2-5-الخصائص السياسية ، تتمثل في :

أ-اللاحدود: يقصد بها تلاشي الحدود السياسية و الجغرافية في مجتمع المعرفة و التي من شأنها أن توجد مجتمع عالمي لا يعترف بالحدود السياسية بين الدول.

ب-الحكومة الالكترونية: نتيجة لما يتطلبه مجتمع المعرفة من تغيرات في مختلف مجالات الحياة ...قامت العديد من الحكومات ببناء قواعد معلومات وطنية خاصة بها، بل تحولت بعض الدول إلى الحكومة الالكترونية، و التي تقوم على مبادئ أساسية منها بناء الخدمة المتمركزة حول احتياجات المواطنين، وجعل الحكومة و خدماتها متاحة للمواطنين بالإضافة إلى شمولية الشبكات و توفرها للجميع.

جـ-حرية التعبير عن الرأي: لان الإبداع ينمو و يزدهر في مجال حريات التعبير .

2-6-الخصائص الأمنية : يقصد بها امن المعلومات لأن للمعلومات قيمة أمنية و سياسية و إدارية مهمة، ...ولهذا بدأ الحديث عن حماية البنية التحتية للمعلومات، و ظهرت المفاهيم الحديثة للمعلومات مثل حماية الاقتصاد الالكتروني و الحماية ضد التجسس الإلكتروني، و الإرهاب و جرائم المعلومات، و فيروسات الحاسوب و غيرها.

3-أسس قيام مجتمع المعرفة : يؤكد تقرير التنمية الإنسانية العربية الصادر سنة 2003 على مجموعة من الأسس لابد من توفرها لقيام مجتمع المعرفة و نوجزها في الآتي:

أ-إطلاق حريات الرأي و التعبير و التنظيم و ضمانها بالحكم الصالح.

ب-النشر الكامل للتعليم راقي النوعية.

جـ-توطين العلم و بناء قدرة ذاتية في البحث و التطوير التكنولوجي في جميع النشاطات المجتمعية.

د-التحول الحثيث نحو نمط إنتاج المعرفة في البيئة الاجتماعية و الاقتصادية.

ه-تأسيس نموذج معرفي عام، أصيل، منفتح، و مستنير.

4-مراحل تكوين مجتمع المعرفة: توجد عدة مراحل مترابطة فيما بينها تؤدي في النهاية إلى تكوين/خلق مجتمع المعرفة وهيا كما يلي:

أ-تبدأ **المرحلة الأولى** من منطلق وجود رأس مال بشري يشكل طليعة لمجتمع المعرفة ويمكنه تحت ظروف مغايرة أن يكون بنية أساسية لقيام النهضة التنموية.

ب-**المرحلة الثانية** و تتطلب تكثيف الإصلاح (السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، الإداري التنظيمي، ...)، واستخدام العلم والتكنولوجيا المتاحة في كل المساقات، مما يشكل الأرضية و البيئة و المناخ الصالح

لنمو مجتمع المعرفة، ...خلق مجتمع المعرفة يعني أكثر من ذلك فهو يعني إعداد الإنسان القادر على استخدام المعلومة و التكنولوجيا في مختلف مساقات الحياة على ثلاثة مستويات تتضح في الآتي:
-مستوى تربويّ: يتعلم فيه المتعلم كيف يبرمج المعلومات الجديدة في إطار المعرفة، فيزداد وعيه المعرفي اتساعا و إدراكه قوة.
-مستوى بحثي: يمكن سبر أغوار الأشياء، واستكشاف القوانين، واستخدام المفاهيم.
-مستوى العمل التجريبي: الذي يحول المعلومة إلى معرفة، و المعرفة إلى ابتكار.
جـ**-المرحلة الثالثة**: تكامل مجتمع المعرفة و تحقيق النهضة التنموية الشاملة المستدامة، وذلك بتكامل مجتمع المعرفة ، وزيادة أعداد المبتكرين و المبدعين و المفكرين ...

5-متطلبات مجتمع المعرفة: وينطلق مجتمع المعرفة من مجموعة من المتطلبات تتمثل فيما يلي:

أ-قيادة إدارية فعالة تتولى وضع الأسس و المعايير و توفير مقومات التنفيذ السليم للخطط و البرامج تؤكد على فرص المنظمة في تحقيق النجاح التنظيمي، كما تلعب دورا فعالا في صياغة الأهداف و الغايات التي تسعى المنظمة إلى تحقيقها و تحقيق ترابطها مع المناخ المحيط و تفعيل عناصرها و قدراتها الذاتية.

ب-تمكين الأفراد العاملين.

جـ-بناء استراتيجي متكامل يعبر عن التوجهات الرئيسية للمنظمة و نظرتها المستقبلية.

د-هياكل تنظيمية مرنة ومتناسبة مع متطلبات الأداء و قابلة للتعديل و التكيف مع المتغيرات الداخلية و الخارجية ... .

ه-التغيير الثقافي للأفراد العاملين وما يحملونه من قيم و معايير ثقافية قديمة (شرط أن لا يمس ثوابت المجتمع) ... بما يتماشى مع الثقافة التنظيمية السائدة .

و-تعميق المعرفة لدى الأفراد .

ز-تكوين رؤية متمركزة حول المبدأ .

ح-إعادة تركيب الموارد البشرية ، وتتضمن الأنشطة التالية :

-تخطيط القوى العاملة (تحديد النوعيات والمهارات ، وتحديد الأعداد ،وتحديد مصادر الحصول على النوعيات المطلوبة)

-تعديل هيكل القوى العاملة : عن طريق التخلص من النوعيات غير المطلوبة ، والأعداد الزائدة ، واستجلاب النوعيات المطلوبة .

–تأكيد هيكل المهارات الجديدة : من خلال تصميم برامج التدريب ، وتقييم وقياس كفاءة الأداء ، وإعادة توزيع الأفراد على الأعمال حسب تناسب المهارات ومتطلبات العمل .

–تعديل نظم ترقية القوى العاملة عن طريق تعديل نظم الرواتب والحوافز والمكافآت وتعديل نظم الاستخدام والتعاقد وشروط العمل ، تعديل نظم المزايا ، وتعديل نظم وشروط الترقية .

ط-نظام متكامل يضم آليات لرصد المعلومات المطلوبة و تحديد مصادرها ... .

ي- تعميق استخدام تقنيات الاتصالات و المعلومات لتحسين كفاءة المنظمات، و تحقيق التواصل الفعال طوال الوقت بينها وبين الأفراد و الجماعات العاملين بالمنظمة .